الرابعة — ان تُحفَرَ التربة حوالي الخص او البيت بعمق وعرض ثلاثين سنتيمترًا ويوضع فيها مقدار خمس سنتمترات من الكلس غير المروَّى ويترك غير مغطى فصغار الصرصر لا تتمكَّن بذلك من تعدّي الكلس

الخامسة — ان توضع على الارض تحت موائد الدود حصرٌ او اطباق مُبلَّلة ثم بعد ساعة او اكثر تُكشف فيرى كثير من الصرصر تستتر تحتها حبًّا بطراوتها فليُقتل

ثم لا يُغفل عن المثابرة على اتلافه قتلًا اوقات الفراغ . فبهذه الوسائل ولا مراء يمكن استئصال هذه الآفة المجحفة رأف الله بعباده . واذا وقفنا على زيادة ايضاح لا نتأخر عن نشرها اذا وفّق الله

التنّين او الاعصار

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انسطاس الكرمليّ
أ وصنفهُ على ما رأيناهُ

للآباء الدعاة الكرمليين في دار السلام بستان على بعد سبعة كيلومترات من المدينة وانت متجدر الى البصرة على الضفّة اليمنى من دجلة عند مصبّ نهر المسعودي (نهر عيسى سابقًا) . ولما كنتُ موكّلًا على اشغال هذه الضَيْعَة (germe) لوجود ايتام يتعلّمون فيها الزراعة فمن عادتي ان اذهب اليها لاشارف ما يقع او يجري فيها . وآخر مرّة انطلقت لهذه الغاية كان صباح نهار الجمعة ١٠ أيار من هذه السنة . وكانت حالة الجوّ يومئذٍ متعبة اذ كان الجميع يشعرون بحرارة غير مألوفة يعني بحرارة خانقة ويكون زائد في الفضا وبضيق في التنفُّس

ولما كانت الساعة الثالثة ونصف بعد الظهر كنت على سُدّ يبعد ما يزيد على كيلومتر بنيف من المنزل المبني على حافة دجلة . وقد اتخذنا السدّ المذكور صدًّا لهجمات ماء الفرات المتدفق في سهول بغداد عن الدخول الى اراضينا وزروعنا وحرثنا

وبينما كنت واقفًا أُمعن النظر في اضرار الماء رأيت مشهدًا لم أرَ مثلهُ في حياتي كلها

كما اني لا اظنّ اني أرى مثلهُ ابدًا. وذلك ان الغيوم كانت قد حَجبت وجهَ الشمس كل حجاب. ووجود السحاب في مثل هذه الأيام من ايار نادر جدًّا في هذه الديار. وما كان الّا هنيهة واذا بشيء اسود هائل المنظر كأنهُ نهض من الافق فتلقاهُ آخر يُشبههُ كأنهُ انحدر اليهِ من علوّ السماء. فاتحدا فامتزجا فلم يكونا الّا واحدًا لا غير ثم اخذت اعضاؤه العظيمة تتصوَّر امامي وتبرز الى الكون والوجود باسرع من النطق بها. واول ما بدا لي رأسهُ الهائل فانهُ كان عظيمًا اسود حالكًا وليست من حُلكةٍ تقاربهُ او تدانيه عليهِ شعرٌ منتفش صوفي القوام. ثمَّ برزت رقبتهُ ولا أرى شيئًا يجاريها متانةً. ثم كَنَت تلك الرقبة زُبرَة كانت تطول طولًا عجيبًا كلما نظر اليها الانسان. ثم امتدَّ متنهُ الطويل وتدلَّى بطنهُ العريض وتكونت يداهُ ونبتت رجلاه ثم تخطَّى فتمطَّى فانباع ولم اعد ارى فيهِ الّا هامةً عظيمة وذنبًا طويلًا دقيق الطرف بعين بدَت لي جثتهُ بصورة قمع عظيم هائل العظم يملا حجمهُ الفضاء. فجاءني من أقصى قلب الافق يعدو اليَّ عدوًا حثيثًا كأنهُ يسير سير البرق. ومن غريب امرهِ انهُ كان يسير على ذنبه وهو يدوّم في مشيهِ تدويمًا كأنهُ المرصاع او الخذروف فبقيتُ واقفًا وقفة الحائر الصادر لا ادري ما افعل والى أين اتجه. ثم قلت في نفسي لا مناصَ لي منهُ فانني انَّ افلتُ من وجهه ادركني بخطوة واحدة من خطواتهِ ولو شابهت الريح سرعةً. واذا ما ابديتُ جَلَدًا وثباتًا وقوة جنان عاملني معاملة جبَّار لجبَّار ولو كنتُ صغير القامة بالنسبة اليهِ او قابلني مقابلة جليات لداود

وما كانت هذه الخواطر تجول في خَلَدي الّا وبهذا المسخ اراني عيونًا لامعة بارقة تقذف شرارًا مستطيلًا وتخرج من كل صدرهِ او كل رأسهِ اذ لا اعلم ما استي هذا الجزء الاعلى من خلقتهِ اذ ليس فيهِ سوى جزئين: أعلى وأسفل فالأعلى بصورة اعلى القمع والادنى بصورة أسفل القمع او بصورة الذنب المستطيل الدقيق الطرف. ومن بعد ان حملق عُيونهُ اسمعني صفيرًا دوت لهُ البساتين كلها واخذ يتكرَّر تكرارًا عجيبًا اذ كان الصَدَى يتقاذفهُ ويتراماهُ فيُسمع تارةً ذات اليمين وطورًا ذات الشمال. ومرَّة من فوق وأخرى من تحت. وآونةً من امام وحينًا من خلف او من وراء. اسمعني صفيرًا اسكت جلَبَة القوم وضوضاء اهل الحصاد ونباح الكلاب الذي كان قد عَلا وارتفع من كل جهة ولا اعلم السبب المحرّك لذلك. اسمعني صفيرًا احدث جمودًا وسكوتًا في تلك البقعة كلها على طولها وعرضها. اسمعني صفيرًا واي صفير حتَّى لو كان امكنني ان

انحـدر تحت الارض لفعلت . اسمعني صفيرًا ارتعدت لهُ فرائصي واقشعرَّ لهُ جسمي واكفهرَّ لهُ وجهي وانتقع لهُ لوني وارتعشت لهُ اعضائي وتقطعت لهُ مفاصلي وسلبَ مني كل قوَّة وجمد لهُ دمي في عروقي وعرق لهُ بدني من فوق الى اسفل . اسمعني صفيرًا لا يشابههُ صفير شيء في هـذه الارض فانهُ كان مرعبًا مزعجًا مُخرسًا مُسكتًا مُبهتًا مُوقفًا مرْجفًا يملأ الصدر حشرجة ولا حشرَجة الموت ويجنب الى النفوس قبول هـذا الموت عن طيبـة خاطر تفاديًا من سماعهِ . اسمعني صفيرًا اوقف كل حركة فيَّ . وكنت اريد المسير الى امام فما كنت استطيعهُ اذ كنت ارائي في حلمٍ من الاحلام وقد هجم عليَّ كابوس من ادبق الكوابيس فامسكني عن كل حركة حتى عن الحركة الفكريَّة

فسألت اعرابيًا وكان بجانبيَّ (وكان هذا السؤال قبل ان يعتريني هذا الاضطراب) ناشدتك الله يا أخا العرب قُلْ لي بحياتك ما هذا؟ — قال : هذا التنين . وسوف يأتينا فيفنينا : الَّا اذا رحمنا الله برحمتهِ الواسعة وانجانا بقدرتهِ فلا خوف علينا حينئذٍ . وكان قد اخذ الضحك ان يستحوذ عليَّ لسماعي كلمة التنين وما شعرت الَّا بسحابة سوداء قـد احاطت بي من كل جانب وساورتني مساورة الحية لفاتايـا واخذت تنفث في وجهي رملًا دقيقًا أزبد او اسود ثم ثار اعصار هائل كان يرفعني عن الارض ويلقيني مرَّة الى امام ومرَّة الى الوراء وتارةً الى اليمين وتارةً الى اليسار على بعد ٧٥ سنتيمترًا من مركزي . ثم عقبـهُ مطر غزير كبير القطر . كثيف الوقع معهُ حصى دقيق كنتُ أحذَف بهِ حذفًا . وكانت بيدي شمسيَّة فاخذت ادافع بها عن نفسي فتخرَّقت وتمزَّقت وتكسَّرت مسانداها الحديديَّة ووقعت اكثر من ثماني مرَّات على الارض ورُفعت عنها خمس اذ ست مرَّات ولمَّا وصلتُ الى القصر كادت الروح تفارقني وبعد المعالجة ثابت اليَّ روحي . وكنت اتصوَّر اني في موقف يوم الدين

فهذا هو التنين الذي عرفهُ العرب سابقًا وهذا هو الذي يهاجم اهـل البادية من دهر الى دهر . وهو الذي يقتل بشدَّتهِ الناس ويُخرج منهم الانفاس ويدفنهم بل يدفنهم في الارماس ويفترس بنارهِ الآكلة الحيوان والاشجار . ويفترش بانفاسهِ المحرقـة مسايل الانهار فيشرب ما فيها ويقذفها الى انأى الديار . هذا التنين الـذي يقلع الاشجار من جذورها وعروقها . ويتصرَّف بها كما يتصرَّف الوليد بدويبات الارض او صغار طيورها هذا التنين الذي يخرب الدور . ويهدم القصور . ويجعلها لاهلها بمنزلة القبور

نزل التنين في بلدتنا في اليوم المذكور فجرّ بذيله على بلدتنا الويل والثبور استأصل الاشجار وأتلف الزروع وامات اناساً في لحظة عين فزادت بلايا هذه المدينة على ما وقع فيها وتوالى عليها من النكبات والويلات. انّ الله رحيم غفور يطلب من اهل الدنيا التكفير عن الخطايا والكبائر قبل ان تُلقى عليهم كبائر الصخور

٢ التنين على رأي العرب الأقدمين

جاء في لسان العرب :

« التنين ضرب من الحيّات من اعظمها كأكبر ما يكون منها . وربّما بعث الله عزّ وجلّ سحابةً فاحتملته وذلك فيما يقال . والله اعلم . ان دوابّ البحر يشكونهُ الى الله تعالى فيرفعهُ عنها . قال ابو منصور : واخبرني شيخ من ثقات الغزاة انهُ كان نازلاً على ميف بحر الشام فنظر هو وجماعة اهل المسكر الى سحابة انقضت في البحر ثم ارتفعت ونظرنا الى ذَنَب التنين يضطرب في هدب السحابة وهبّت بها الريح ونحن ننظر اليها الى ان غابت السحابة عن ابصارنا . وجاء في بعض الاخبار : ان السحابة تحمل التنين الى بلاد ياجوج وماجوج فتطرحهُ فيها وانهم يجتمعون على لحمهِ فيأكلونهُ » . اه نقلهُ بحرفهِ

وقال في خريدة العجائب (ص ٧١) :

« ذكروا انهُ يرتفع من هذا البحر (بحر الخزر) تنين عظيم يشبه السحاب الاسود وينظر اليهِ الناس . وزعموا انّها دابة عظيمة في البحر تؤذي دوابّهُ فيبعث الله عليها سحاباً من سُحب قدرتهِ فيحملها ويخرجها من البحر وهي صفة حيّة سوداء لا يمرّ ذنبها على شيء من الابنية العظام الّا سحقتهُ وهدمتهُ ولا من الاشجار الّا هدمتها . وربما تنفست فاحرقت الاشجار والنباتات . قال : فيلقيها السحاب في الجزائر التي بها ياجوج وماجوج فتكون لهم غذاء . ورُوي عن ابن عباس رضه هذا القول » اه

قلتُ : الذي يأكلهُ اهل ياجوج وماجوج هو السمك الذي يحملهُ هذا التنين لا غير فليُحفظ :

وقال المسعودي في مروج الذهب :

« وقد اختلف الناس في التنين : فمنهم من رأى انهُ ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الخلو فتلحق السحب كالزوبعة . فاذا ثارت من الارض واستدارت واثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء تُوهم الناس انّها حيّات سود . ومنهم من رأى انّها دوابّ تتكوّن في قعر البحر فتعظم وتؤذي دوابّ البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وانها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لا تمرّ بمدينة الّا اتت على ما لا يُقدر عليهِ من بناء عظيم او شجر او جبل . وربما تنفّس فتحرق الشجر الكبير فيلقونها في سدّ ياجوج وماجوج ويمطر السحاب عليهم فيقتل ذلك التنين ومنهُ يتغذى ياجوج وماجوج » اه

قلتُ: واذا كان التنين نارٌ أُطلق عليهِ اسم الاعصار عند العرب

وذكر ياقوت في مادَّة كلّز من معجم البلدان ما هذا اعادة نصهِ:

جرى في هذه الناحية (كلز) في ايامنا هذه شيء عجيب كنت قد ذكرت مثلهُ في سدّ ياجوج وماجوج وكنت مرتاباً فيهِ ومتلدداً لمن حكاه فيهِ حتَّى اذا كان في اواخر ربيع الآخر سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) شاع في حلب وانا كنتُ بها يومئذٍ ثم ورد بصحتهِ كتاب والي هذه الناحية اعني رأوا هناك تنيناً عظيماً في طول المنارة وغلظها. اسود اللون وهو ينسابُ على الارض والنار تخرج من فيهِ ودُبرهِ. فما مرَّ على شيء الَّا واحرقهُ حتى انهُ أتلفَ عدة مزارع واحرق اشجاراً كثيرة من الزيتون وغيره. وصادف في طريقهِ عدة بيوت وحركاهات للتركمان فاحرقها بما فيها من الماشية والرجال والنساء والاطفال. ومرَّ كذلك نحو عشرة فراسخ والناس يشاهدونهُ من بعد حتى اغاث الله اهل تلك النواحي بسحابة اقبلت من قِبَل البحر وتدلَّت حتى اشتملت عليهِ ورفعتهُ وجعلت تعلو قبل السماء والناس يشاهدون النار تخرجُ من قُبُلهِ ودبرهِ وهو يُحرّك ذنبهُ ويرتفع حتى غاب عن اعيُن الناس. قالوا: ولقد شاهدناهُ والسحابة ترفعهُ وقد لفَّ بذنبهِ كلباً فجعل الكلب يصيح وهو يرتفع وكان قد احرق في مَسَرّهِ نحو اربعمائة شجرة لوز وزيتون». اه

وذكر الكاتب في مادَّة سدّ ياجوج قال:

«واما ذكر التنين فرأينا مثلهُ بنواحي حلب ما ذكرتهُ في ترجمة كلّز وجملتهُ حُجَّةً على ما أوردهُ ههنا من خبرهِ وشجعني على كتابتهِ فانَّ الانسان شديدُ التكذيب بخبر ما لم يرَ مثلهُ. رُوي عن شدَّاد بن اوس المقرئ انهُ قال: عُدتُ عُمر البكاليّ فذكرنا لون التنين فقال عمر البكاليّ: اتدرون كيف يكون التنين؟ قلنا: لا. قال: يكون في البرّ حيَّة متمرّدة فتأكل كل حيَّات البرّ فلا تزال تأكلها وتأكل غيرها من الهوامّ وهي تعظم وتكبر ثم يزيد امرها. فتأكل جميع ما تراه من الحيوان فاذا عظم امرُها ضجَّت دوابّ البرّ منها فيرسل الله تعالى اليها ملكاً فيحتملها حتَّى يُلقيها في البحر فتفعل بدواب البحر مثل فعلها بدواب البرّ فتعظم وتزداد جسمها فتضجّ دواب البحر منها ايضاً فيبعث الله اليها ملكاً حتى يخرج راسها من البحر فيتدلى اليها سحاب فيحتملها فيُلقيها الى ياجوج وماجوج»

قلتُ انا: وهذا رأيٌ كان يراهُ الاقدمون وليس حقيقةً بل وليس فيهِ ذرَّة من الحقيقة. فاحفظهُ

وحدَّث المُملَّى بن هلال الكوفي قال: كنتُ بالمصّيصة فسمعتهم يتحدَّثون ان البحر ربَّما مكث اياماً وليالي تصطفق امواجهُ ويُسمع لهُ دويٌّ شديدٌ فيقولون: ما هذا الَّا بشيء آذى دوابّ البحر فهي تضجُّ الى الله تعالى. قال: فتُقبل سحابة حتى تغيب في البحر ثم تُقبل اخرى حتى عدَّ سبع سحابات. ثم ترتفع جميعاً في السماء وقد حملنَ شيئاً يرون انهُ التنين حتى يغيب عنَّا ونحن ننظر اليهِ يضطرب فيها فربَّما وقع في البحر فتعود السحابة الى البحر بالرعد الشديد الهائل والبرق العظيم حتى تغوص في البحر وتستخرجهُ ثانيةً فتحملهُ فربَّما اجتاز وهو في السحاب وذنبهُ خارج

عنها بالشجر العادي والبناء الشامخ فيضربهُ بذنبهِ فيهدم البناء من اصلهِ ويقلع الشجر بعروقهِ. ولقد احتملهُ السحاب من بحر انطاكية فضرب بذنبهِ بضعة عشر برجاً من ابراج سورها فرمى بها. ويقال ان السحاب الموكَّل بهِ يختطفهُ حيث ما رآهُ كما يختطف حجرُ المغناطيس الحديد فهو لا يُطلع راسهُ من الماء خوفاً من السحاب ولا يخرج الاَّ في الفرط اذا صَحَتِ الدنيا (وفي الاصل المطبوع: صَحَّت الدنيا بتشديد الحاء وهو غلط ظاهر)

« وذكر بقراط الحكيم اليوناني في كتاب الثراء. انهُ كان في بعض السواحل قبلهُ ان هناك قُرى كثيرة قد نشا فيها الموت. فقصدها ليعرف السبب في ذلك. فلمَّا فحص عن الامر إذا هو بتنّين قد احتملهُ السحاب من البحر فوقع على نحو عشرين فرسخاً من هذه القرى. فتن فنشا الموتُ فيها من نتنهِ فعمد ذلك الفيلسوف فجبا من اهل تلك القُرى مالاً عظيماً واشترى بهِ ملحاً. ثم امر اهل تلك القُرى ان يجمعوهُ ويُلقوهُ عليهِ ففعلوا ذلك حتَّى بطلت رائحتهُ وكفَّ الموتان عنهم. (قلتُ: قد يكون هذا الجسم جسم سمكة عظيمة احتملها التنّين)

« ورُوي عن بعضهم: انهُ قصد موضعاً سقط فيهِ فوجد طولهُ نحو الفرسخين وعرضهُ فرسخ ولونهُ مثل لون النمر مفلس كفلوس السمك. ولهُ جناحان عظيمان كهيئة اجنحة السمك ورأسهُ مثل التلّ العظيم شبه راس الانسان. ولهُ اذنان مُفرطتا الطول وعينان مدوَّرتان كبيرتان جدًّا وينشعّب من عنقهِ ستة اعناق طول كل عنقٍ منها عشرون ذراعاً في كل عنق راسٌ كراس الحيَّة. قلتُ (يعني ياقوت): هذه صفة فاسدة لانهُ قال اولاً: لهُ راس كراس انسان. ثم قال: رؤوس كرؤوس الحيَّة. وقد نقلتهُ كما وجدتهُ ولكن تركهُ اولى ». اه نقلهُ عن ياقوت

قلت انا: ولا حاجة الى ما في هذا الكلام من الاختلاق البيّن والكذب الخبريت ولو اردنا ان نورد هنا كل ما ورد في كتب العرب عن التنّين لتقوَّم منهُ كتابٌ قائم براسهِ. فقد اجتزأنا بما ذكرنا تاركين كلام سائر المؤلفين لمن يريد يُقابل بين اختلاف الروايات واختلاقها ويجمع منها ما خالف الحقيقة فيضرب بهِ عرض الحائط ويؤلف ما جاء منها مطابقاً للحقيقة فيسند بهِ حقائق العلم الراهنة

وجملة القول في ذلك: ان الحقيقة بيّنة من مطاوي الكلام والزيادة فيها لا تخفى على ذوي الاحلام والأفهام إذ انَّ عمل الأوهام يظهر في كل عبارةٍ اذ كل امرئ ينطق على موجب تصوُّرهِ على حدّ ما تخيَّلنا نحن ما رأيناهُ رأي العين. واما الحقيقة العلميَّة في ذلك فسنُذكر بعيد ذلك

٣ تنّين الاقدمين عند الكتبة الاجانب

حكاية التنّين متوشّجة العروق في ارض التاريخ القديم. ولم يكن العرب وحدهم عرفوهُ بل عرفهُ غيرهم من سائر الامم المختلفة فالرومان عرفوهُ باسم draco واليونان

باسم δράκων وعنهم تلقّى الرومان الاسم المعروف عندهم . واللفظة مأخوذة من δέρκομαι اي نظر شزرًا وحَمْلَقَ لِما يُنسب اليهِ من النظر الهائل . على ان اللفظة العربيّة تُقابل لفظتين اعجميّتين وهما: dragon و typhon . وقد نقل العرب تحت عنوانٍ واحدٍ مادة ترجمتين فخلطوا وخبطوا . والّا فان ما جاء بمعنى « تيفون » فقد وصفهُ كذلك ابناء العرب . وما جاء بمعنى الثعبان فقد ذكرهُ ايضًا كُتّاب اولئك الناس على حدّ ما ذكرهُ ابناء العرب . وقد رأيت في كلام ياقوت عدة صفات لهُ لعدّة رُواة قد جمعت بين الوصفين وبذلك كفاية بل غنًى عن كل تفصيل آخر

قال پلينيوس وفيلستڑغيوس ما مختصّلهُ : « ان طول تنانين الحبشة تبلغ نحوًا من ٢٠ ذراعًا . وقال أيليانوس موكِّدًا انهُ وجد ما طولهُ ٣٠ قدمًا . وذكر تنّينًا في الهند واسع العينين كانهما تُرسان مقدونيّان . ثم ذكر ان هذا التنين كان في عهد اسكندر ذي القرنين وان الناس عبدوهُ وكان يسكن مغارة يخرج منها راسهُ فقط . ومما رواهُ العرب في التنين الذي كان في أيّام الاسكندر ما نقلهُ الوردي في الصفحة ٦١ من كتابهِ فراجعهُ هناك خوفًا من تكرارهِ على ما لا طائل تحتهُ

وذكر ديودورس الصقلي تنّينًا طولهُ ٣٠ ذراعًا اخذ في عهد بطليموس اثرجيتوس

وذكر نيقفور الكاتب تنّينًا آخر ثقيل الجثة جدًّا لا يجرُّهُ الّا ستّة عشر ثورًا وان سكان ذلك القُطر احرقوهُ لئلاّ يفسد الهواء بنتانتهِ لكثرة ما يتولّد من فسادهِ من العفونات في البلاد . وقال ايليانوس : التنين الذكر عُرفٌ او زُبرة وحية . والتنين واسع الفم على ما نقلهُ الكلُّ بنوعٍ مطرّد . ولهُ اسنان قوية حادّة وذكر ابن سينا : ان انيابهُ تشبه انياب الناخر او الخنزير البريّ بيد ان سوليموس يخالف من تقدّمهُ في هذا الراي اذ يقول : ليس للتنين فم لكن قوات انبوبيّة لا يتخذها للعضّ بل للتنفّس ولاخراج لسانهِ . وقد اتفق الجميع على ان نظرهُ حادٌّ كلَّ الحدّة . وكذلك اتفقوا على انَّ جسدهُ مغلّس كفلوس السمك وعلى رقبتهِ زُبرة كزبرة الأسد . وقال قومٌ : ان من التنانين ما يكون مجنّحًا . وبالاجمال ليس للتنين ارجل او قوائم على راي الاقدمين لكنهُ يُطيق على السباحة . قال پلينيوس : ان تنانين الحبشة تعبر البحر اسرابًا وطوائف من اربعة الى خمسة وتذهب الى جزيرة العرب رافعة رؤوسها عن الماء

ولم يجمع الجمهور على لونهِ مع انهم قد أجمعوا على ان صفيرهُ حادّ وعلى انهُ يأوي

الى الجراج والزأرات الطليقة والمغاور الغائرة البعيدة القعر والانهر الفسيحة. واما قوّتهُ فقالوا عنها انها تفوق قوة كل حيوان فانهُ يقتل الفيل بسهولة كلية. واينما لاقاهُ صرعهُ وجندلهُ. واما طعامهُ فذوات الخفّ والظلف ولا يستنكف من اكل الطير اذا وقع بيدهِ او وقع عليهِ نفسهُ لانهُ يستجلبهُ اليهِ بمجرّد اطلاق نفسهِ عليهِ. لا بل ويأكل بعض النباتات. وقال لوقانس: ان تنانين افريقية سائمة واذا عضّت واحداً من اهلها عمد اصحابهُ الى اتخاذ الوسائط اللازمة لشفائهِ. وقالوا: ان خفة حركة التنين وحدّة بصرهِ ونشاطهِ مما جعلهُ الحارس الاعظم للكنوز وانهُ يلتذ كثيراً بسماع الغناء والانغام المطربة وقد اكثر المؤرخون من اهل الثقة ذكر التنين ووصفهُ. واما پلينيوس فقد اقرّ واضحاً انهُ لم يرَهُ احدٌ قط. وقد شوهدت صورة التنين مصوّرة ومنقوشة على كثير من الآثار القديمة بهيئة حية ماردة هائلة العظم

ويرمز اليونان والرومان بالتنين الى ميثرفة إشارةً الى الحكمة التي لا تعرف النوم والى باخوس رمزاً الى شدّة عربدة السكران

والخلاصة في هذا الباب ان التنين حيوان خرافيّ تخيّلهُ الاقدمون بقامة هائلة العظم وعينين متقدتين مهدّدتين مخيفتين وفم يقذف ناراً وشراراً وراس كراس الاسد وذنب كذنب الثعبان يكون مجنّحاً وغير مجنح ومُذلّلاً من فوق الى اسفل. وعلى هذه الصفة كان الاوّلون يصفون تنين الجزّة الذهبية وتنين بستان الهسپريدة. وعلى هذه الصورة والهيئة كانت ايضاً الخيمَيرَة (chimère)

٤ التنين في الكتاب المبين

وقد ورد ذكر التنين مراراً عديدة في الكتاب المبين بمعانٍ مختلفة في البيان والتبيين. فمنها بمعنى الدابّة البحريّة العظيمة او السمكة الهائلة العظم. ومنهُ في سفر الخلق (١ : ٢١) حيث يقول: «وخلق الله التنانين وكلّ دابة من كل ذي نفس حيّة فاضت بهِ المياه بحسب اصنافهِ». وقال ايوب (في ٧ : ١٢): «أبحرٌ انا او تنين حتى تجعل حولي سداً». وقال صاحب الزبور (في ١٤٨ : ٧): «سبحي الرب من الارض ايتها التنانين وجميع الغمار»

وجاء ذكر التنين في التنزيل العزيز بمعنى الحيّة العظيمة. فقد ورد في سفر الخروج (٧ : ٩): «خذ عصاك وألقها بين يدي فرعون تصير تنيناً» وتكرر هذا اللفظ في

ذلك الفصل . وجاء في تثنية الاشتراع (٣٣:٣٢) : « حُمَةُ التنانين خمرُهم وسمُّ الافاعي القاتل » . ووردت بهذا المعنى ايضاً في المزمور (٩١ : ١٣) وفي ارميا (٥١ : ٣٤)

وورد التنين في الكتاب الكريم بمعنى ثالث اي بمعنى التمساح . راجع وصفهُ في سفر ايوب (٤٠ : ٢٥) وما يلي هذه الآية تَرَهُ لا ينطبق الّا على التمساح كما شرحهُ المفسّرون والعلماء المتبحّرون . وراجع ايضاً سفر اشعيا (٢٧ : ١) و (٥١ : ٩) وسفر حزقيال (٢٩ : ٣ و ٣٢ : ٢) وسفر المزامير (٧٤ : ١٣) الى آخر ما تكرَّر مجيئهُ في ذلك . وعلى كلّ حالٍ فلا يُراد به ابدًا الحيوان الخرافيّ اذ القرائن ظاهرة برجوده كسائر الحيوانات والدوابّ . ولعلَّ ذكرهُ في مخلوقات البحار دفع الغير الى ان يتوهموهُ بالصورة التي اخرجوها عن الحقيقة الراهنة . والله اعلم

٥ً التنين في كُتب النصارى الأقدمين والمحدثين

يكثر ذكر التنين في تراجم القديسين وفي كتب الصلحاء وغيرهم ويريدون بذلك اما رؤى تمثّلت لهم باذن الله واما رمزًا الى الشيطان ذلك الروح اللعين الذي تشكل بشكل حية منذ القديم لأبوينا الاوّلين ليطغيهما . وكذلك رَمزوا بهِ الى الشرّ او الشرّير او الظُلمات او اهل الظلمات وعليهِ تصوير رئيس الملائكة ميخائيل يصرع التنين الجهنمي . والعذراء مريم تسحق برجليها عدوّ بني آدم . وهكذا صوَّر النصارى صورة القديس جرجس يضرب التنين برمحهِ (راجع المشرق ٦ : ٣٨٨)

٦ً التنين في عبادة الاقدمين

قد بيّنا ان الاقدمين قد رمزوا بالتنين الى الروح النجس الخبيث والى قوى الطبيعة المادية وقد عبدهُ الاقدمون كما عبدوا الارواح الخبيثة بعد ان ألّهوها كما انهم عبدوا الرذائل بعد ان مثّلوها في بعض رجالهم او نسبوها لآلهتهم وصور هذا الاله الرهيب وُجدت منقوشة او مصوَّرة في عدَّة هياكل على اشكال مختلفة من ثعبان او دابّة ذات اربع قوائم او غير ذلك وقد اتخذ اهل الشرق رايات عليها صورة تنين لاسيما المصريون من اهل هذه الديار الشرقية . وكذلك فعل اهل الغرب ولاسيما ابناء القبائل القلطية . ولعلَّ الكل يرجع الى اصل يوناني اذ تذكر خرافات هؤلاء الاقوام ان ايلون قتل پيثون واستأصل عبادة الحية بحكمة سامية فائقة

٢ التنين عند العلماء المحققين

عرَّف العلماء التنين قالوا: هو عمود بخار قليل الاعوجاج والميل او كثيره ينتقل من سحابة الى الارض او الى البحر وتكون حركتُهُ رَحويَّةً متنقلةً سريعةً كل السرعة. والهواء يُدَوِّم حول العمود الى مسافة محدودة تنقطع وراءها كل حركة فلا يكون ثَمَّ الَّا ركون وسكون مُطلق. ويخرج احياناً من صدره برقٌ يهزيم يقصف قصفاً

واكثر ما يكون اطلاق لفظة التنين على إعصار البحر خاصةً وان جاءت احياناً بمعنى اعصار الارض ايضاً الَّا انَّ هذه تعرف باسم الزوبعة للفرق بينهما. وتكون تنانين البحر صاعدة او نازلة حسبما يبتدئ مخروطها مرتفعاً من البحر صُعُدًا او ينحدر من السُحُب هُويًا. وهي على كل حالٍ من اعظم الطوامّ للمراكب والسفن وجواري البحر التي تصادفها في ممرّها فانها تساورها اشدَّ المساورة وتحلق بها في الجوّ ثم تقذف بها من حالقٍ وتغرقها في اغلب الاحايين اللهمَّ الَّا اذا كان البحريون يُصلونها نار حرب حامية بان يطلقوا عليها المدافع فحينئذٍ ينقسم العمود فينقطع بذلك الاتصال الموجود بين السحاب والعباب وهذا ما يزيل القضاء. وعلى الاقلّ موقتاً

والظاهر ان تنانين البحر خاصة بالديار المدارية يعني انها تقع في البلاد الواقعة بين دائرتي السرطان والجدي

لما الزوابع فقد عرَّفها العَرَب تعريفاً يقرب او يبعد عن الحقيقة قليلًا او كثيرًا. قال صاحب اللسان:

الزوبع والزوبعة: ريح تدور في الارض لا تقصد وجهاً واحداً تحمل التبار وترتفع الى السماء كأنهُ عمودٌ. أُخذت من التزبُّع (وهو سوء الخلق والتنيُّط) وصيان الاعراب يكنون الاعصار: «ابا زَوْبَعَة». يقال فيهِ شيطان مارد. وزَوْبعة اسم شيطان مارد او رئيس من رؤساء الجنّ ومنهُ سُمِّي الاعصار زَوْبَعَة. ويقال ام زوبعة

وقال ابن الاثير في تحفة العجائب وطرفة الغرائب:

ومن الرياح: الزوبعة وهي التي تدور على نفسها واكثر ثوارها من رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف رياحاً تدوّرها الرياح المختلفة فيُحدث دورانُ السحاب تدوير الريح فتزل على تلك الهيئة. وقيل: ان سببها التقاء ريحين مختلفي الهبوب فيحدث بسبب ذلك ريح مستديرة اه

وقال القزويني في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات:

من الرياح العجيبة الزوبعة : وهي الريح التي تدور على نفسها شبه منارة واكثر توالدها من رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف سحابًا تذروه الرياح المختلفة فيحدث من دوران النيم تدوير في الريح فيترتل على تلك الهيئة . وربما يكون سلك صعودها مدوَّرًا فيبقى هبوبها كذلك مدوَّرًا كما يشاهد في الثمر الجمد فان سبب جموده قد يكون لاعوجاج المسام . وربما يكون سبب الزوبعة التقاء ريحين مختلفي الهبوب فانهما اذا تلاقيا تمنع احداهما الاخرى عن الهبوب فتحدث بسبب ذلك ريح مستديرة تشبه منارة . وربما صادفت الزوبعة السفينة فترفعها وتدورها وتُغرقها . وربما رفعت قطعة من النيم في وسط الزوبعة تدورها في الهواء فترى شبه تنين يدور في الجوّ . اه

واما العلماء المحدثون فقد قالوا انهُ يسبق الزوابع وَغرةٌ ووَمَدةٌ وحرٌّ خانق فيه وكرد وجمود ولاسيما يتميَّز بهبوط عظيم وسريع في مقياس الجوّ . وتعريفها عندهم كتعريف التنانين وهي لا تقلّ خطرًا عن هذه والخراب الذي تنزلهُ في المواطن التي تمرّ بها يشهد على هولها وفتكها واجتياحها . واما تعليلها فسيأتي الكلام عنهُ في محلهِ مع ذكر من اشتهر بالبحث عنها

هذا وقد ذكر التاريخ شيئًا كثيرًا من هذه التنانين والزوابع من ذلك ان قمبيز ملك الفرس بعث بخمسين الف مقاتل على واحة سيوة او واحة أمون فهلك جيشهُ بزوبعة هبَّت عليهم في مسيرها فهلكوا عن بكرة ابيهم ولم ينجُ منهم واحدٌ

ولما كان العمود الذي يحدث في الزوبعة شديد القوَّة فكثيرًا ما يجمع في أحشائهِ في دورانهِ كل ما يمرّ بهِ من تراب او رمل او حصى واذا مرَّت بغدير او بحيرة نشَّفت ماءهُ ونقلت سمكهُ وضفادعهُ او محتوياتهِ الى بُعد شاسع فيتخيَّل للناس ان السماء تمطر سمكًا او ضفادع او اثارًا مختلفة . وقد شوهد احيانًا تساقط حيوانات ودويبات مختلفة ومطر حبوب وثمار شتى . وروى المسيو بلتيه (Peltier) الفرنسي ان ضفادع كثيرة هوَت من الفضاء على قبعتهِ ويديهِ وغطَّت أديم الارض حولهُ . وشوهد ايضًا تساقط سمك صغير من السماء في فرنسة والهند وايطالية والمانية وبلاد الصين . وطرأت زوبعة في تاپلي سنة ١٨٣٣ فمرَّت ببستان برتقال فحملت منهُ ثمرًا كثيرًا وبعد بضع دقائق امطرت السماء برتقالًا على سطح بيت بعيد عن البستان . وكان ايضًا في فرنسة غدير كثير السمك فمرَّ بهِ اعصار سنة ١٨٣٥ فاغترفهُ وانتثر مطرًا على مسافة غير بعيدة عنهُ

ووصف بعضهم هولها بعد ممرّها قال : هبَّت زوبعة في غابة فضربت فيها مسافة

ثلثة امثال وهي تقطع اشجارها وتحطم كل ما قام في وجهها . ثم هجمت على الحروث فاجتاحتها . وهدمت بيوتاً كثيرة فدكتها حتى غدت هباء منثوراً . ثم جاءت وعراً يانع الشجر رائع الثمر متين الاغصان طويل الافنان متوشج العروق مشتبك الاصول والفروع اكثره من السنديان الصلب فلم تُبقِ فيه ولم تذر . وكان في الغابة سنديانة عادية كبيرة قطر ساقها ثلاثة اقدام تلوح للناظر كأنها طود راسخ بين اخواتها فثارت بها الزوبعة فحطمتها تحطيماً . فحسبتُ سرعتها من مسيرها فالفيتُها ١٧٣ ميلاً في الساعة او ٢/٢٥٣ قدم في الثانية اي ربع سرعة قنبرة المدفع . . .

ويكثر حدوث الزوابع في البوادي والصحارى الواسعة الحواشي فتعلو منها اعمدة رمال عظيمة فتجف الريح ويشتد الحر ويعسر التنفس ويضيق الصدر . والبائن ان الحيوانات ولاسيما الاباعر تشعر بها عن بعد وقبل حدوثها فيأخذها الانزعاج والاضطراب واذا كانت اباعر تنفر في عرض البادية حتى اذا اصابت ما تستذري به لجأت اليه وجعلت رؤوسها بين يديها مضطجعة على الارض . والظاعنون المتكون يخرون بوجوههم ملتثمة على الارض حتى تمر فاذا قصر زمان مرورها ولم تطمرهم الرمال نجوا والا هلكوا

٨ آراء مشاهير العلماء المدققين في حقيقة امر التنين

اشهر العلماء الذين بحثوا عن حقيقة التنين فرنكلين (Franklin) ومُشنبرُوك (Musschenbroek) ومُنج (Monge) وغيرهم . فانهم اعتبروه بمنزلة دُرْدُورٍ هوائي تولده مُصادَفة مجريين متعاديين . وبريسون (Brisson) هو اول من رأى في ذلك اثراً كهربائياً الا ان بلتيه في كتابه « بحث في التنانين » هو اول من توفق الى هتك ستر سر هذا الحادث الجوي أتمَّ هتكٍ . فعلى رأيه ان السحابة المتكهربة اذا مرت بالارض على بُعدٍ معلوم تنجذب اليها وتهوي هُوياً . وحينئذٍ اذا كانت هذه الغيمة كثيفة مندمجة الدقائق ومتازرتها يَنشأ عِدَّيها نُتُوء غريباً ثم يمتد ويُتِنُّ شيئاً فشيئاً . واذا كان الحادث يطرأ فوق البحر فينهض الماء نهوضاً ويذهب صُعُداً نحو طرف هذا النُتُوء فيتقوَّم من ذلك عمود يَنتصب بين العباب والسحاب . هذا واذا كان المخروط يَنشأ بعكس ذلك من فوق اديم الارض ينجذب الغبار وصغار الاجسام وخفافها ثم تذهب صعداً نحو راس المخروط ثم تتدافع ثم تعود فتجاذب ثانيةً . وعلى هذه الصورة

ينشأ الاتصال بين السحاب والارض وحينئذٍ تنجذب اعظم الاجسام واضخمها فتحدث التنانين والزوابع اعمالًا آلية قويَّة عجيبة غريبة وكلها لا تخلو ابدًا من مصدر كهربائي فترفع وتقلع وتقطع وتقلب وتسلب وتنثف وتكثف وتحرق وتغرق وتقرّب وتبعّد وتذيب وتفعل غير ذلك من الاعمال كانها من الاعمال السحرية ترجع جميعها الى فعل الكهربائية الخفيّة ولهذا نسبها العرب الى اعمال متمرّدي الشياطين

٩ اصل لفظة التنين في اصطلاح اللُغويين

التنين على ما جاء في محيط المحيط « ماخوذ من تنَّ بمعنى امتد » وهو مع ذلك لم يذكر تنَّ في اول المادة بهذا المعنى. كما اننا لم نعثر في كتاب من الكتب على هذا الفعل ولا على الاشتقاق. وعلى كل فان ثبت « تنَّ » بمعنى امتدَّ صحَّ اشتقاق التنين منهُ. وقد ذكر صاحب محيط المحيط بمعنى « تنَّ »: « أتنَّ ». وهو غير موجود في ديوانٍ من دواوين اللغة. ولعلَّ ما في يدنا لا يفي بالمطلوب

وعلى كل فان مادة « ت ن » او « ت ن ن » تدلّ على الامتداد والكبر والعظم في سائر اللغات وكلها كانها ماخوذة من « ت ن ن » بمعنى استطال وامتدَّ كالدخان. ففي العبرانية תנן معناه: دخن او امتدَّ كالدخان. ومثلهُ في الحبشيَّة ʾtn بمعناه. وكذلك بالسريانية ܬܢ والعربيَّة فقدت هذه اللفظة مع ان فرعها المتولد منها بزيادة حرف في اولهِ موجودًا اي « عثن » يقال عثنت النار: دخنت. وباليونانية ἀτμὸς البخار وهذه المادة موجودة ايضًا بهذا المعنى والمبنى في الندانية والسامرة

وباليونانية ταινία سمكة طويلة ومن ذلك اللاتينية taenia والفعل τείνω يعني امتدَّ وطال وفي العربيَّة التنّ سمكة عظيمة ومثلها في اللاتينية thunnus piscis وباليونانية θύννος وبالاسبانية atun وبالايطالية tonno وبالفرنسية thon وبالانكليزية tunny وبالالمانية thunfisch كلها تشهد على صحة هذا التركيب

ولما زادوا على هذه المادة حروفًا جاء منها « الاتون » لما يتصاعد منهُ عن الدخان. ومنها ايضًا التنُّور الى غير ذلك من المشتقات والفروع التي اذا تتبعناها يتطاول بنا الكلام الى ما يخرجنا من موضوعنا

فيتحصل من كل ذلك ان لفظة التنين عربيَّة النجار ومعناها: هذا العمود الذي

ياخذ بالامتداد والاتساع على حدّ ما قررناه في مطاوي هذه النبذة مع ذكر الاسانيد والبراهين. ثم انتقلوا منها بالتشبيه الى حيوانات كبيرة الجسم ثم ابتنوا عليها حكايات غريبة لفّقها الربانيون كما لفقوا خرافات لا تقدَّر ولا تحصى اساسها شيء زهيد فبنوا عليها ابنية اخترعتها مخيّلتهم الفيّاضة والله اعلم بالحقيقة

في وحدة عشتروت او عشترت والسيّارة الزهرة

للادب يوسف اوفرد احد اعضاء الجمعيّة الكتابيّة الأثريّة

ورد في احدى الآجرّ المسماريّة المحفوظة في متحف عاديات لندن انهُ كان لمردوخ إله البابليين اربعة كلاب يلازمونهُ ابدًا ثمَّ ذُكرت اسماؤهم. ومعلوم انَّ مردوخ البابليّ يوافق عند قدماء الكلدان السيّارة المشتري او جوبتير. فظنَّ بعض العلماء انَّ الكلاب المذكورة هي اربعة من الاقمار التي تدور حول المشتري وهي الاكبر بينها حجماً فانهُ ثبت الآن بالبراهين الراهنة انَّهُ يتيسَّر لمن خصَّهُ الله ببصر مديد ان يرى هذه الاقمار الاربعة بمجرَّد البصر. فاذا كان والحالة هذه بوسع سكّان الجزيرة الاقدمين ان يروا اقمار المشتري فلا غروَ انَّهم كانوا يعاينون ايضاً تقلُّبات الزُهرة لدى غروبها. وهذا ممَّا يكشف القناع عن بعض غوامض تاريخ اديان الساميين الاقدمين

وطالما اخبرتنا كتابات الاشوريين والبابليين ان عشتروت او الزُهرة كانت ابنة «سين» اعني الإله القمر فلعلَّ هذه القُربى نجمت عن ظهور الاب والابنة على هيئة هلال ولذلك أُحصيا بين الآلهة ذات القرون. ويُخال ان قدماء العرب او الميناويين جعلوا علاقة وثيقة العرى بين السيارة الزُهرة وبين القمر وظنُّوا ان هذه السيّارة إلهٌ ذكر غير انهم حفظوا اسمها البابليّ ودعوها عشتر. ويظهر ان البابليين الاكاديين تردَّدوا في جنسيَّة عشتر او الزهرة لأنَّ كتاباتهم تسميها «دلبة» او «ديلبة» وتقول انها إلهةٌ عند مغيب الشمس وإلهٌ عند طلوعها

ولقد جاء في احد النصوص ان عشتر الأكّاديين هي الزهرة عند طلوع الشمس ولكنَّها تتحوَّل الى عشتر «إرك» عند غروبها (١. واما الكتابة الموابيَّة فانَّها تتكلَّم

(١ اطلب Sayce : *Hibbert Lectures*, p. 254